

دراسة في تأثير التغيرات السوسيوثقافية في علاقة الطفل بالتلفزيون A study in the impact of the sociocultural changes in the child's relation with television

نبيلة دحو¹، رشيد فريخ²

1- جامعة الجزائر 3

كلية علوم الإعلام والاتصال

dahou.nabila@univ-Alger3.dz

2- المدرسة العسكرية العليا للإعلام والاتصال

Freih.rachid@univ-Alger3.dz

تاريخ الاستلام: 2020/ 04/ 29 تاريخ القبول: 2022/03/ 02 تاريخ النشر: 2022/06/09

ملخص :

يهدف هذا المقال إلى البحث في علاقة الطفل بالتلفزيون في ظل التغيرات السوسيوثقافية التي شهدتها المجتمع الجزائري، وذلك من خلال دراسة تأثير مجموعة من المتغيرات المتعلقة بالمستوى التعليمي لأولياء الأطفال والوضع المهني للأم، والمستوى المعيشي لأسر المبحوثين على تحديد طبيعة هذه العلاقة. ولتحقيق هذا الهدف قمنا بإجراء دراسة ميدانية على عينة من الأطفال بولاية عين الدفلى في شهر نوفمبر 2019. حيث تبين من خلال النتائج المتوصل إليها أن المستوى المعيشي للأسرة، المستوى التعليمي للأولياء والوضع المهني للأم تؤثر على نوعية البرامج التي يشاهدها الأطفال المبحوثين، والوقت الذي يقضيه الأطفال في عملية المشاهدة التلفزيونية، وبالتالي تؤثر في تحديد طبيعة علاقة الطفل بالتلفزيون.

كلمات دالة:

الطفل، البرامج التلفزيونية، التغيرات الاجتماعية، التغيرات الثقافية، الأسرة الجزائرية.

Abstract

This article treats the child's relationship to television in light of the sociocultural changes that Algerian society had witnessed, by examining the impact of a range of variables related to the economic level of the family, the educational level of the parents of children and the professional status of the mother, on determining the nature of this relationship. To achieve this goal, we conducted a field study on a sample of children in Ain Defla in November 2019. Results show that the economic situation of the family, the educational level of parents and the professional status of the mother affect the quality of the programmes that children watch, and the time they spend in viewing, and thus affect determine of the nature of the child's relationship to television.

Key words:

child; TV programs; social changes; cultural changes; Algerian family.

مقدمة

لا ينكر أحد حجم الاهتمام الذي حظيت به وسائل الاتصال الجماهيري من الباحثين في مشارب متعددة، باعتبار أنها دخلت حياة المجتمعات من الباب الواسع وأصبحت على قائمة اهتماماتهم وممارساتهم الثقافية اليومية، فأحدثت تغييرات على المستوى الاقتصادي، الاجتماعي والثقافي، بل وجعلت من العالم قرية صغيرة ألغت فيها كل الحدود الجغرافية، القومية والثقافية، وأصبحت علاقة الفرد بوسائل الإعلام ظاهرة استوجبت البحث من زوايا متعددة. ويعد التلفزيون من أكثر الوسائل التي خضعت للدراسة، بسبب أنه يجمع بين خاصيتي الصوت والصورة المتحركة، واستطاع أن يفعل ما لم تفعله وسائل الإعلام سابقته، فقد نجح في جذب اهتمام قطاعات واسعة من المجتمع، ولعل أكثر شريحة ارتباطا بهذه الوسيلة هم الأطفال.

يولد الطفل في وسط منزلي يحظى فيه التلفزيون بمكانة هامة، وتتصدر المشاهدة التلفزيونية قائمة النشاطات الاتصالية الثقافية لأفراد الأسرة، فيكون صديقه ومعلمه منذ سنوات حياته الأولى، حيث يبدأ تعرض الطفل لشاشة التلفزيون منذ سن مبكرة جدا، فقد بينت العديد من نتائج الدراسات في هذا الموضوع، أن استهلاك الطفل في مراحل حياته الأولى للمضامين التلفزيونية يكون أكبر منه عند الفرد البالغ، وأنه يقضي معظم أوقاته أمام شاشة التلفزيون.

إن ما يدفعنا للبحث في علاقة الطفل بالتلفزيون في ظل التغيرات السوسيوثقافية هو نتائج الدراسات والبحوث التي لا تزال تؤكد الآثار القوية التي تتركها متابعة واستخدام وسائل الإعلام على شخصية الطفل سواء ايجابية كانت أم سلبية، بالاعتقاد أن وسائل الإعلام وحدها من تحدث هذا التأثير، حيث تلغي هذه الفكرة كيان الطفل النفسي والاجتماعي، الذي تقوم على بنائه وتنشئته المؤسسات الاجتماعية الدينية والتعليمية. وقد انطلقنا في هذه الدراسة من فكرة مخالفة لما سبق ذكره، بالاعتقاد أن شخصية الطفل وسلوكه نتاج لمجموعة من المورثات الاجتماعية والثقافية، وأن علاقته مع محيطه سواء مع الأفراد أو مع وسائل الإعلام تحدها البيئة التي يتربّع فيها، وتعكس هذه المورثات مجموعة من المتغيرات المتعلقة بالمستوى التعليمي والثقافي للوالدين، عدد الإخوة، المستوى المعيشي للأسرة، الوضع المهني للأم وغيرها من المحددات الاجتماعية التي تؤثر في بناء شخصية الطفل وتحدد علاقاته مع البيئة المحيطة به، وفي هذا السياق توصلت الباحثة راضية حميدة إلى أن علاقة الطفل بوسائل الإعلام عموماً تعكس البيئة الاجتماعية والثقافية التي ينشأ فيها الطفل.

في سياق المجتمع الجزائري الذي شهد ولا زال يعيش تغيرات مستمرة خاصة مع التطور السريع واللامتناهي لتكنولوجيات الإعلام والاتصال، الذي جعل من عملية التغير الاجتماعي والثقافي أسرع وأقوى مقارنة بما كانت عليه في الماضي. وقد أدت هذه التغيرات والتحولات العميقة في المجتمع الجزائري إلى ظهور أنظمة اجتماعية واقتصادية تختلف عن سابقتها بكثير، ومن مظاهر هذه التغيرات ارتفاع المستوى التعليمي، دخول المرأة مجال العمل، وتغيرات في المستوى المعيشي للأسر. كما سمحت بتشكيل ثقافة ازدواجية فتحت الباب أمام الصراع بين جيلين، الأول يحرص على المحافظة على كل ما هو تقليدي، والثاني متأثر بالثقافات الغربية ويدعو إلى الانفتاح عليها، وهنا يطرح الإشكال حول تنشئة الأطفال وتربيتهم، وتطبيعهم اجتماعياً في بيئة أصبحت فيها المواد الإعلامية باختلاف أشكالها ومصادرها تحاصر الطفل من كل جهة، وبيئة ثقافية تتسم بالازدواجية تتصارع فيها القيم والأفكار. وبناء على ما سبق تقديمه نطرح إشكالية الدراسة: ما

تأثير التغيرات السوسيوثقافية على علاقة الطفل بالتلفزيون؟

سنحاول الاجابة عن إشكالية الدراسة من خلال التساؤلات التالية:

- ما تأثير المستوى التعليمي والثقافي للوالدين، الوضع المهني للأم والمستوى المعيشي للأسرة على عادات المشاهدة التلفزيونية عند الأطفال المبحوثين؟
- ما تأثير المستوى التعليمي للأولياء، الوضع المهني للأم والمستوى المعيشي للأسر على تفاعل الأطفال المبحوثين مع برامج التلفزيون؟

- كيف تؤثر الخصائص الاجتماعية والثقافية للأسرة الجزائرية المعاصرة على علاقة الطفل بالتلفزيون؟

أهداف الدراسة:

تهدف عموما من خلال هذه الدراسة إلى البحث في تأثير التغييرات السوسيوثقافية التي شهدتها

المجتمع الجزائري في علاقة الطفل بالتلفزيون وذلك من خلال:

- البحث في تأثير المستوى التعليمي والثقافي للوالدين، الوضع المهني للأم والمستوى المعيشي للأسر على عادات المشاهدة التلفزيونية عند الطفل.

- البحث في تأثير المستوى التعليمي للأولياء، المستوى المعيشي للأسرة والوضع المهني للأم على تفاعل الأطفال مع برامج التلفزيون.

- دراسة تأثير الخصائص الاجتماعية والثقافية للأسرة الجزائرية المعاصرة على علاقة الطفل بالتلفزيون.

مفاهيم الدراسة:

الطفل: هو الفرد في مرحلة الطفولة، والطفولة هي المرحلة التي يقضيها الانسان في النمو والترقي حتى يبلغ مبلغ الراشدين ويعتمد على نفسه في تدبير شؤونه وتأمين حاجياته الجسدية والنفسية وحماية هذا البقاء (يعقوب، 1998، صفحة 25)، وعلى الرغم من اختلاف التعريفات وتعدددها بتعدد مجالات الدراسة، إلا أن هناك

شبه اتفاق على أن الطفل هو الفرد منذ مرحلة الولادة إلى سن البلوغ، وهي المرحلة العمرية التي يتعلم فيها الطفل القواعد والآداب العامة للمجتمع، ويتطور وينمو فيها جسديا، نفسيا ومعرفيا.

أما في دراستنا فنقصد بالطفل الفرد في المرحلة العمرية التي تبدأ مع سن السادسة وتنتهي مع أواخر سن التاسعة، وتعرف هذه المرحلة بمرحلة الطفولة المتوسطة، وتصادف هذه المرحلة دخول الطفل إلى المدرسة وانفتاحه على المجتمع، كما تتميز بتطوير علاقات اجتماعية مع الآخر سواء في المدرسة أو في الشارع، وهو ما يعرف بالولادة الثانية أو الولادة الثقافية، حيث أن نمو المهارات الحركية والانفعالية تجعل الطفل أكثر ميلا للواقع والحقيقة.

التغيير الاجتماعي: يعرف جونسون التغيير الاجتماعي بأنه تغيير في بنية النظام الاجتماعي من حالة كان فيها ثابتا نسبيا، كما أن هذه التغييرات البنائية ناتجة بالأساس عن تغييرات وظيفية في البنية الاجتماعية وصولا إلى بناء أكثر كفاءة، وأكثر قدرة على أداء الانجازات (السيد أحمد،

2005، صفحة 25)، ونعني بالتغيير الاجتماعي تلك الاختلافات التي تطرأ على البناء الاجتماعي خلال فترة زمنية معينة، تحدث بفعل مبادرات داخلية من النسق الاجتماعي، أو كنتيجة لتغير في العوامل الخارجية.

أما في سياق دراستنا فنقصد بالتغيرات الاجتماعية تلك التحولات التي حدثت في المجتمع الجزائري بداية من فترة الاحتلال الفرنسي إلى يومنا هذا، والتي أثرت بدورها على الأدوار والمكانات الاجتماعية، الوظائف وعلى الهيكل البنائي والنظام الاجتماعي والاقتصادي العام للأسرة الجزائرية.

يعني **التغيير الثقافي** في أبسط مظاهره تعديل الأفكار والاتجاهات وأساليب الحياة، كما يعني في مدلوله العميق تعديل الإطار الأيديولوجي، وتوسيع عملية التفاعل الفكري لدى الانسان كجزء منتمي وملتحم بجماعات الواقع، التي يجد نفسه واحدا في كل من بنائها المادي والفكري والروحي (السويدي، 1984، صفحة 145)، أي هي التحولات التي تحدث على مستوى الأفكار، القيم والعادات، بحيث تتضمن الأكل، اللباس، أنماط التفكير وأساليب العيش.

التغيرات السوسيوثقافية في الجزائر:

إن الحديث عن النظام الاجتماعي في الجزائر يقودنا إلى إبراز الخصائص الاجتماعية والثقافية التي تجمع بين الخصائص التقليدية والحديثة للأسرة الجزائرية، والتغيرات التي شهدتها المجتمع سواء على المستوى البنائي، التركيبي أو الوظيفي. فالنظام الاجتماعي الجزائري شهد تغيرات على المستويات الثلاث، وتعتبر فترة الاحتلال الفرنسي أكثر مرحلة شهد فيها المجتمع تغيرات عميقة، فالاحتكاك الثقافي والاجتماعي العنيف الذي حدث بين النسق الاجتماعي التقليدي للأسرة الجزائرية والثقافة الأوربية أدى إلى تغيرات وتحولات كبيرة سواء على المستوى التركيبي، البنائي أو على مستوى الوظائف، الأدوار والعلاقات الاجتماعية.

وفي هذا الصدد يرى محمد السويدي أن "نزوح الأسرة من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية سببا في الانتقال من النظام الأسري التقليدي الممتد إلى النظام النووي بانفصال الأسرة الزوجية الجديدة عن العائلة الممتدة، أو من نموذج اجتماعي واقتصادي استهلاكي يقوم بالدرجة الأولى على علاقات القرابة، ويعتمد على الانتاج الزراعي والحيواني، إلى نمط اجتماعي فردي يقوم على الاقتصاد الصناعي والتجاري، ويحكمه العمل المأجور في الزمان والمكان" (محمد السويدي، ص89)، وقد سمح هذا الانتقال من الريف إلى المناطق الحضرية بخروج المرأة للتعليم، العمل ومشاركة الرجل في الحياة السياسية، واندماجها في مجالات العمل كانت في الماضي القريب حكرا على الرجال، فكان هذا سببا في تغيرات على مستوى الوظائف، والأدوار والمؤسسات. ونشير في

هذا السياق أن النسق الاجتماعي التقليدي قائم على محور المرأة والأم، وأن كل التغييرات الاجتماعية تمس بصفة أساسية وكبيرة وظيفتها ودورها الاجتماعي ونمط تفكيرها. فالتحولات طرأت على المكانة الاجتماعية للمرأة، ووظائفها وتغير دورها من مجرد وظيفة الانجاب والتربية، والحفاظ على العائلة إلى وظائف اقتصادية اجتماعية تلعب دورا فعالا في التنمية على جميع الأصعدة، ومشاركة الرجل في بناء المجتمع ومؤسسات الدولة.

غيرت هذه الظروف من نظرة الأفراد للحياة، فأصبحت تقتصر على الماديات ورفاهية العيش، عكس ما كانت عليه في الماضي، علاقات قائمة على الحس الجماعي والتشارك والتضامن والقيم الأخلاقية والثقافية للمجتمع. وكان لهذه التغييرات الأثر الكبير في تحديد وتوجيه السلوكيات الفردية والجماعية والمكانات، والأدوار وإعادة تنظيمها داخل المجتمع وعلى جميع المستويات. كما تغيرت أساليب التربية وأنماط التنشئة الاجتماعية وانتقل التكفل بالأطفال من التكفل الأمومي المتعدد الذي تشارك فيه الجدات والخالات والعمات، إلى مؤسسات اجتماعية مؤهلة ومتخصصة في تربية الأطفال ورعايتهم أثناء تواجد الأم خارج المنزل.

ويشكل موضوع تربية الأطفال وتنشئتهم في ظل هذه السياقات تحديا أمام الأسرة والمجتمع، خصوصا في ظل التطور السريع لتكنولوجيات الاعلام والاتصال، وانتشارها على نطاق واسع، فالملاحظ أن اهتمام الأطفال بالتكنولوجيات الحديثة زاد بشكل مفرط مؤخرا، خصوصا مع توفر مختلف الأجهزة في متناولهم منذ سن مبكرة جدا، فقد زاد من تعميق الصلة بين الطفل ووسائل الاتصال الحديثة، وعلى الرغم من هذه توفر الأجهزة والتقنيات تبقى مشاهدة التلفزيون تحتل مكانة ضمن الممارسات الثقافية والاتصالية للأطفال.

علاقة الطفل بالتلفزيون:

يؤكد عدد من الباحثين أن الأنماط السلوكية للأسرة هي من يحدد ما سيفعله الطفل في المستقبل لكي يحظى بالقبول الاجتماعي، الرضا والإشباع، ولهذا فإن الأسرة هي المسؤول الأول عن تكوين شخصية الطفل، وتنمية مهاراته الاجتماعية وتوجيه سلوكياته، حيث تغرس فيه الشخصية الانسانية وتضع فيه أصول التطبيع الاجتماعي، في نفس السياق يرى Pierre Bourdieu أن سلوك الطفل وشخصيته نتاج للمحددات الاجتماعية، أي أن علاقة الطفل بمحيطه سواء مع الأفراد من أسرته أو مجتمعه، أو علاقاته مع محيطه المادي، تعكس البيئة الثقافية والاجتماعية التي يعيش فيها. ويتعاطم دور الأسرة في تشكيل هذه العلاقات وإعطائها المنحى المناسب، خاصة في الوقت الحالي مع انتشار تكنولوجيات الإعلام والاتصال الحديثة، التي لا يكاد يخلو منها بيت، ولا نكاد نجد شخصا لا يتعرض لمضامينها بما تحمله من ثقافة وقيم غريبة تتنافى

وقيم المجتمع الجزائري العربي المسلم. وعليه فإن تحديد طبيعة علاقة الطفل بوسائل الإعلام عموماً والتلفزيون على الخصوص باعتباره أكثر وسيلة يرتبط بها الطفل منذ السنوات الأولى في حياته، حتى أطلق عليه اسم الأب الثالث، يمكننا من معرفة مواضع الخلل فيها، ومحاولة تصحيحها من طرف الأسرة عن طريق تنظيم عملية المشاهدة واختيار البرامج التي تناسب متطلبات النمو في هذه المرحلة، وتوافق المنظومة القيمية والثقافية للمجتمع الجزائري.

نلاحظ من خلال مراجعة الأدبيات السابقة، أن هناك اتجاهين أو تصورين حول دور الأسرة في تحديد علاقة الطفل بالتلفزيون:

الاتجاه الأول: يرى أن الأسر تحرص على اختيار البرامج التعليمية والتثقيفية للأطفال، التي تؤدي دوراً متكاملًا مع دور الأسرة، المدرسة والمجتمع، إلى جانب تحديد مدة المشاهدة، مرافقة الأطفال، ومناقشة مضامين برامج التلفزيون معهم، في محاولة لتقليل الآثار السلبية للتلفزيون على أطفالهم، "حيث يضع العديد من الآباء قواعد خاصة، ويتفاوضون مع أطفالهم حول قواعد استخدام وسائل الإعلام، ويمكن أن تتعلق هذه القواعد بمحتوى البرامج أو مدة الاستخدام، خاصة داخل الأسر التي يبلغ أطفالها اثني عشر سنة أو أقل، بينما تخفف هذه القواعد مع تقدم الأطفال في السن" (Willemse, 2013, p. 9).

وفي الغالب يرى هذا التوجه أن علاقة الطفل بالتلفزيون تعكس المستوى الاجتماعي والثقافي لأسرة الطفل، حيث توصلت الباحثة راضية حميدة في دراستها حول دور الأسرة والمدرسة في تربية الأطفال على التعامل مع وسائل الاعلام، إلى أن "عادات مشاهدة الأولياء واتجاهاتهم نحو التلفزيون ذات تأثير قوي على سلوك الطفل، كما تبين أن عادات مشاهدة الأطفال للتلفزيون قد أعطت خلفية عن بيئة الوالدين الثقافية والاجتماعية" (حميدة، 2015، صفحة 143)، فالطفل يميل في سنواته الأولى إلى التقمص الوجداني لدور الأم والأب، باعتبارها الشخصية المثالية في نظره، والمجدير بالذكر أن "مشاهدة الأطفال للتلفزيون برفقة أحد الوالدين عامل مهم في لفت انتباه المشاهد الصغير نحو مضامين معينة دون غيرها، كما يساعد الطفل في تفسير المحتوى التلفزيوني وإكسابه نظرة نقدية لما تقدمه برامج التلفزيون" (Baton-hervé, 2004, p. 28).

الاتجاه الثاني: يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الأسرة تمنح للأطفال حرية اختيار البرامج التلفزيونية، وتستعمل هذه الوسيلة لإلهاء الطفل، وإبقائه مشغولاً أكثر مدة، فهي إما تجهل دورها بسبب نقص وعي الوالدين، ويرجع هذا إلى عامل المستوى التعليمي، أو تتجاهله نظراً لانشغال الوالدين بالعمل داخل وخارج البيت، ففي دراسة حول دور التربية الاعلامية في مواجهة القيم السلبية في برامج الأطفال بقناة MBC3 توصلت الباحثة إلى أن "غالبية الأولياء يمنحون

الحرية لأبنائهم في مشاهدة البرامج المختلفة، كما أنهم لا يناقشون معهم هذه المضامين، وهذا راجع بالأساس إلى طبيعة المستوى التعليمي للأولياء" (رغيس، 2017)، "كما تبين أن الأطفال الذين يقضون معظم وقتهم مع وسائل الإعلام يفتقدون للمرافقة والرقابة الأبوية" (Baton hervé, 2004, p. 38) فنجد "عددا ضئيلا من الأسر التي تبذل جهدا في ضبط استهلاك أبنائها لمضامين وسائل الإعلام، والقليل جدا من لديه إدراك باحتياجات أطفاله الإعلامية، وهم أولئك الذي بلغوا درجة كبيرة من ثقافة التلفزيون، كذلك يميل أطفالهم إلى المشاهدة مدة أقصر من غيرهم" (حميدة، 2015، الصفحات 78-79).

ويختلف الأمر في الأيام العادية عنه في العطل، فقد تبين أن الكوابح الأسرية تزول أثناء العطل، فتستخدم الكثير من الأسر التلفزيون كجلیسة للأطفال، وكوسيلة ترفيه يمضي الأطفال أوقات فراغهم أمامها (فتحي، 2003)، فيزداد وقت المشاهدة ليصل إلى أربع ساعات أو أكثر في اليوم، ويرجع هذا إلى غياب مرافق الترفيه في بعض المناطق (رداوي، 2019)، وفي نفس السياق توصلت الباحثة رشيدة بشبش إلى أن "تواجد الأم في فترة العطل يشجع على زيادة حجم المشاهدة لدى الأطفال المبحوثين، كما أن زيادة عدد الأطفال في البيت لا تتيح تنظيم المشاهدة التلفزيونية لاختلاف أذواق الأطفال، وأوقات مشاهدتهم، مما يجعل المشاهدة تتسم بالعشوائية" (بشبش، 2015، صفحة 318).

عوما ترتبط عملية تنظيم المشاهدة التلفزيونية عند الطفل، وتحديد علاقته بالتلفزيون، بالعوامل الاقتصادية والمحددات السوسيوثقافية لكل أسرة، والوضع المهني للأم، حيث أن ارتفاع المستوى التعليمي للوالدين يعكس مدى وعيهم بخطورة بعض البرامج التلفزيونية، والإسراف في مشاهدة التلفزيون على أطفالهم، ولكن المستوى المعيشي المنخفض يحول دون توفير وسائل أخرى للترفيه، واستغلال أوقات الفراغ عند الطفل في الأيام العادية، وعلى الخصوص في العطل الدراسية، كما أن عمل الأم يترك المجال مفتوحا أمام الأطفال، سواء من حيث الوقت الذي يستغرقه الطفل في المشاهدة، أو من حيث نوعية البرامج التي يستهلكها. كما تلعب العلاقات الأسرية ونوعية الاتصال العائلي، وأسلوب تعليم الوالدين، إلى جانب الخصائص الاجتماعية والديموغرافية مثل النوع الاجتماعي، والعمر، وعدد الأطفال دورا مهما في تحديد علاقة الأطفال بوسائل الإعلام. (Willemse, 2013, p. 6)

منهج وأدوات البحث:

تندرج هذه الدراسة ضمن دراسات جمهور وسائل الإعلام التي تعتمد على المسح بالعينة نظرا لاستحالة حصر جمهور التلفزيون من الأطفال، ويقوم منهج المسح على جمع المعلومات والبيانات

عن الظاهرة المدروسة قصد التعرف على وضعها الحالي وجوانب قوتها وضعفها (بن مرسل، 2010، صفحة 289)، حيث يساعدنا على التقرب من المبحوثين وجمع البيانات والمعلومات بطريقة مباشرة، وتفسيرها وتحليلها بهدف معرفة تأثير التغييرات السوسيوثقافية على علاقة الطفل بالتلفزيون.

من أجل الحصول على المعلومات المطلوبة تم تصميم استمارة استبيان من أربعة محاور، المحور الأول خاص بالبيانات الشخصية، المحور الثاني حول عادات مشاهدة الطفل للبرامج التلفزيونية، المحور الثالث حول تفاعل الطفل مع التلفزيون، والمحور الرابع حول تأثير الأسرة على علاقة الطفل بالتلفزيون. وقد عمدنا إلى توزيع استمارات الاستبيان على أولياء التلاميذ من أجل الاجابة عليها، نظرا لعدم قدرة الأطفال في هذا السن على التعامل مع هذا النوع من الوثائق من جهة، وللحصول على معلومات دقيقة حول المستوى التعليمي للأولياء، الوضع المهني للأُم، والمستوى المعيشي للأسرة.

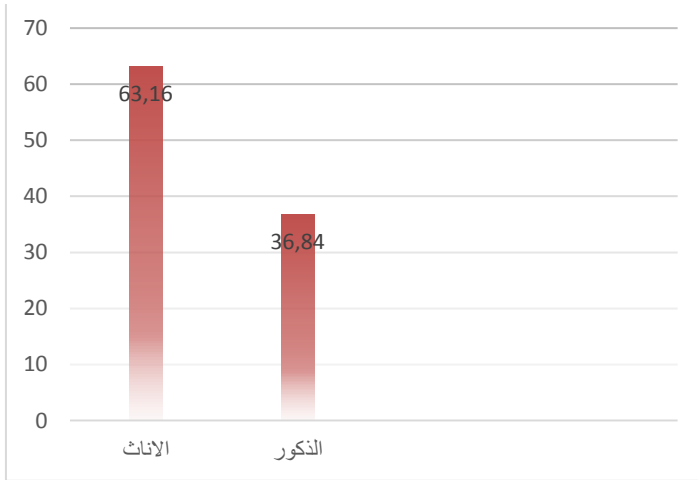
مجتمع البحث وعينة الدراسة:

مجتمع البحث الذي نحاول دراسته هو أطفال ولاية عين الدفلى الذي ينتمون إلى مرحلة الطفولة المتوسطة (من 6 إلى 9 سنوات) أي الأطفال المسجلين في أقسام المرحلة الابتدائية من النظام التعليمي الجزائري، والذين يشاهدون برامج التلفزيون باستمرار. وقد تم اختيار هذه المرحلة من الطفولة لعدة أسباب، فالطفل في هذه المرحلة العمرية ينتقل من التركيز على علاقته بأفراد أسرته وجماعة رفاقه في إطارها المحدود، إلى الانفتاح على المجتمع وتكوين علاقات مع الآخر خارج المنزل، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإن الطفل في هذه المرحلة لديه تجربة كافية في عملية المشاهدة التلفزيونية، فيبدأ بانتقاء البرامج التلفزيونية التي تلي رغباته وحاجاته النفسية والمعرفية، وهذا ما يسمح لنا بدراسة علاقة الطفل بالتلفزيون، وتأثير المحددات السوسيوثقافية على طبيعة هذه العلاقة.

نظرا لاستحالة اجراء المسح الشامل تم سحب العينة بطريقة عشوائية منتظمة، قدر قوامها بـ 100 مفردة موزعة على الأقسام الأولى، الثانية والثالثة ابتدائي بين الجنسين. تم اجراء الدراسة الميدانية في المدرسة الابتدائية الإخوة مخلدي ببلدية عين الدفلى، في شهر نوفمبر 2019.

بعد توزيع استمارة الاستبيان على أولياء الأطفال واسترجاعها ومراجعتها، ألقينا 5 وأبقينا على 95 استمارة من أصل 100 بسبب عدم الاجابة على بعض الأسئلة، وبعد تفرغ الجداول تحصلنا على عينة الدراسة كما هو موضح في الشكل أسفله.

الشكل 1. عينة الدراسة



المصدر: من إعداد الباحثين

يتضح من الشكل البياني أن الإناث تمثل أغلبية العينة المدروسة بنسبة 63,16%، أما الذكور فيمثلون نسبة 36,84%، وقد تراوحت أعمارهم بين سن السادسة والتاسعة، وهي مرحلة الطفولة المتوسطة، التي تعد من المراحل العمرية الجد حساسة، يكون خلالها الطفل المعالم الأولى لشخصيته، ويتشبع فيها بقيم وثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه.

متغيرات الدراسة:

بعد الاطلاع على العديد من الدراسات المتقاربة والمشابهة لموضوع دراستنا، لاحظنا من خلال النتائج أن معظمها توصلت إلى وجود علاقة بن المستوى التعليمي للأولياء، عمل الأم، والمستوى المعيشي، وعلاقة الطفل بوسائل الإعلام، وعلى هذا الأساس اعتمدناها كمتغيرات تابعة، باعتبار أن التغيرات السوسيوثقافية التي حدثت في الجزائر مست بدورها العديد من المجالات في حياة الأفراد، سواء على مستوى التعليم والتكوين المهنيين اللذين أصبحا متاحين للجميع على اختلاف الجنس، السن وحتى المنطقة الجغرافية، أو التحولات التي شهدتها النظام الاقتصادي، إلى جانب تغيير الوظائف والأدوار على مستوى الأسرة.

تحليل ومناقشة النتائج:

بعد استرجاع الاستمارات وتفريغها واستخراج النسب، توصلنا إلى النتائج الخاصة بكل متغير

كالتالي:

أولاً: تأثير المستوى التعليمي للأولياء

شكل 2. المستوى التعليمي للأولياء



المصدر: من إعداد الباحثين

يبين الشكل أعلاه تكافؤ المستوى التعليمي بين آباء وأمهات الأطفال المبحوثين، حيث تمثل نسبة الآباء والأمهات ذوي المستوى التعليمي الجامعي نسبة 37,78% و 33,33% على التوالي، كذلك الحال بالنسبة للأولياء ذوي المستوى التعليمي الثانوي الآباء بنسبة 42,22%، والأمهات بنسبة 44,09%، وأخيراً أولياء المبحوثين ذوي المستوى التعليمي المتوسط و الابتدائي بنسبة 22,58% و 20%، عند الأمهات والآباء على التوالي، ويعود هذا الارتفاع الملحوظ في نسبة الأولياء الحاملين لشهادات جامعية وخاصة بالنسبة للنساء الى التغييرات الاجتماعية والثقافية التي حدثت في المجتمع الجزائري والتي سنحت للمرأة بالخروج للتعليم والعمل.

تبين من خلال النتائج المتوصل إليها أن المستوى التعليمي للأولياء يؤثر في عادات المشاهدة عند الأطفال فيما يخص نوع البرامج التي يشاهدونها، حيث اتضح أن الأولياء الحاملين للشهادات الجامعية يفضل أطفالهم البرامج التعليمية والمسابقات العلمية إلى جانب الرسوم المتحركة وأفلام الكرتون، بينما الأولياء ذوي المستوى التعليمي الثانوي، المتوسط والابتدائي يفضل أطفالهم مشاهدة الرسوم المتحركة وأغاني الأطفال بالدرجة الأولى، كما تبين أن المستوى التعليمي للأولياء لم يؤثر على لغة البرامج التي يشاهدها الأطفال فمعظم الأطفال يشاهدون البرامج باللغة العربية، أو اللهجات العامية، بينما فئة قليلة من المبحوثين تنابع برامج الأطفال الناطقة باللغات الأجنبية. فيما يخص المدة التي يستغرقها الأطفال في مشاهدة البرامج التلفزيونية فقد أشارت النتائج إلى أن أطفال الأولياء ذوي المستوى التعليمي الجامعي يستغرق أطفالهم مدة أقل في المشاهدة مقارنة

بأطفال الأولياء ذوي المستوى التعليمي الثانوي، حيث أن الأولياء ذوي المستويات التعليمية العالية يستغلون أوقات الفراغ عند أطفالهم لحثهم على ممارسة نشاطات أخرى كالرياضة والموسيقى والانخراط في الجمعيات والنوادي العلمية.

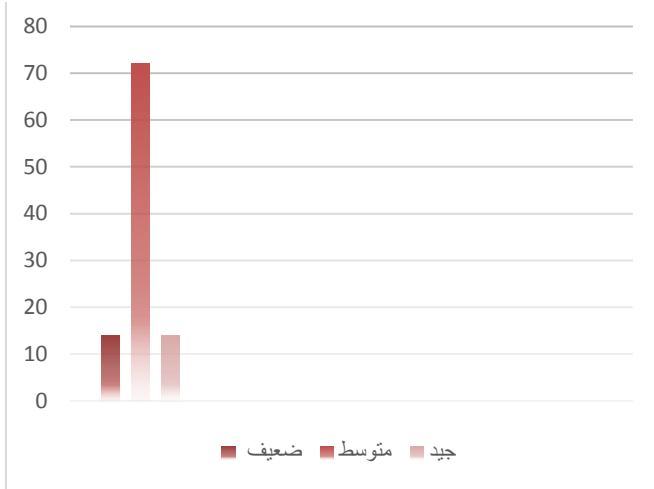
تبين أن المستوى التعليمي للأولياء لم يؤثر على تفاعل الطفل مع البرامج التلفزيونية، وهذا راجع لقوة التأثير التي يمتلكها التلفزيون، فالتفاعل رد فعل تلقائي من الأطفال خلال المشاهدة أو بعدها، وهذا يوضح أنه باختلاف المستويات التعليمية للأولياء، إلا أن تأثير التلفزيون يفرض قوته رغم الاجراءات التي يتخذها الأولياء، حيث ترجع قوة التأثير الى المضامين التي تقدمها البرامج وطرق العرض والتقنيات التي يعتمدونها القائمون على إعدادها.

أظهرت النتائج أن الأولياء ذوي المستوى التعليمي الجامعي يراقبون باستمرار البرامج التي يتعرض لها أطفالهم، كما يتدخلون في اختيار وبرمجة المشاهدة، ويكون العقاب في حال خالف الأطفال القواعد التي يملئها الوالدين لتنظيم عملية المشاهدة، بينما الأولياء ذوي مستوى تعليمي أقل هم عكس ذلك لا يتدخلون في برمجة المشاهدة، ولا في مراقبة أطفالهم، كما لاحظنا أن معظم الأولياء من جميع المستويات التعليمية بدون موقف تجاه علاقة أطفالهم بالتلفزيون، وهذا راجع حسب ما لاحظناه الى الدور الايجابي الذي يلعبه التلفزيون في حياة أطفالهم، مقابل التأثيرات السلبية فهو سلاح ذو حدين.

تتوافق النتائج أعلاه مع الفكرة القائلة أن عادات المشاهدة التلفزيونية تعكس إلى حد بعيد البيئة الثقافية والاجتماعية التي ينشأ فيها الأطفال، حيث تبين أنه كلما ارتفع المستوى التعليمي للأبوين زاد اهتمامهما بما يشاهده أطفالهم، وتوجهوا إلى اختيار البرامج المناسبة لهم، وتحديد مدة المشاهدة التي لا تؤثر على أدائهم للمهام اليومية الأخرى كالدراسة، اللعب وممارسة الرياضة. بينما يتضح أنه كلما انخفض المستوى التعليمي للوالدين اتسمت المشاهدة بالعشوائية سواء من حيث الزمن المستغرق في المشاهدة أو من حيث نوعية البرامج المشاهدة، وهذا راجع لارتفاع المستوى التعليمي الذي ينتج عنه زيادة في الوعي، وإدراك خطورة بعض المضامين على الأطفال، كما أنه كلما زاد المستوى التعليمي للأب زادت قدرته على التحليل والنقد وقراءة ما بين السطور، وبالتالي الفهم العميق لما تقدمه البرامج من أفكار وقيم ضمنية، الذي قد يصعب على الأبوين من ذوي مستوى تعليمي منخفض فهمها وإدراكها.

ثانيا: تأثير متغير المستوى المعيشي للأسرة:

شكل3. المستوى المعيشي للأسر



المصدر: من إعداد الباحثين

يتضح من الأعمدة البيانية الواردة أعلاه أن أغلبية الأطفال المبحوثين ينتمون لأسر من المستوى المعيشي المتوسط وقد بلغت نسبتهم 72 %، وهذه عينة تمثيلية عن الطبقة الغالبة في المجتمع الجزائري، بينما جاءت نسبة المبحوثين من أسر ذات مستوى معيشي ضعيف وجيد متساوية قدرت بـ 14%.

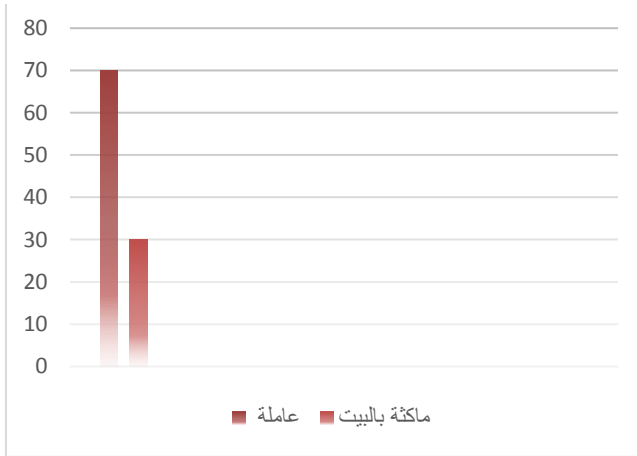
تبين أن هناك علاقة بين المستوى المعيشي وعادات المشاهدة عند الأطفال بخصوص الأجهزة المستعملة لهذا الغرض، حيث يفضل الأطفال من أسر ذات مستوى معيشي جيد ومتوسط مشاهدة برامجهم المفضلة على الألواح الالكترونية، الهواتف الذكية، والحواسيب الشخصية، عكس الأطفال الذين ينتمون إلى أسر ذات مستوى معيشي ضعيف فيشاهدون البرامج على شاشة التلفزيون.

اتضح أن المستوى المعيشي لأسر المبحوثين يؤثر أيضا في مدة المشاهدة عند الأطفال، حيث أن الاطفال من الأسر ضعيفة ومتوسطة الدخل يقضون من ساعتين إلى ثلاث ساعات يوميا وتزيد المدة في فترات العطل الدراسية، بينما الأطفال من العائلات ذوي الدخل الجيد فتتراوح مدة المشاهدة عندهم بين ثلاثين دقيقة وساعة، ويرجع هذا لتوفر الامكانيات المادية التي تتيح للأطفال الانخراط في النوادي الرياضية والموسيقية وممارسة نشاطات أخرى أو السفر مع أفراد الأسرة في العطل.

تبين لنا أن المستوى المعيشي لم يؤثر على طريقة تفاعل الأطفال مع ما يشاهدونه في البرامج التلفزيونية، فأغلب الأطفال المبحوثين من المستويات المعيشية الثلاث يقلدون شخصياتهم الكرتونية المفضلة، ويحفظون أغاني وأناشيد الرسوم وأفلام الكرتون، وهذا راجع إلى خصائص مرحلة الطفولة التي يكون فيها التعلم في أوجه، وذلك عن طريق تقليد الأطفال شخصياتهم المفضلة سواء كانت هذه الشخصيات حقيقية كالآب والأم وأفراد الأسرة، أم شخصيات من وحي الخيال تظهر على الشاشة فقط، وهذا ما تفترضه نظرية التعلم بالملاحظة للباحث بندورا. فالطفل يتعلم ويتمرن على الأدوار الاجتماعية والتميز بين أدوار الأنثى والذكر، عن طريق التقليد والمحاكاة للنماذج التي يعايشها في حياته اليومية.

ثالثا: تأثير متغير الوضع المهني للأم:

شكل 4. الوضع المهني للأم



المصدر: من إعداد الباحثين

كما ذكرنا سابقا التغيرات التي حدثت على المستوى الاقتصادي، الثقافي والاجتماعي في الجزائر سنحت للمرأة بمتابعة الدراسة والحصول على شهادات تمكنها من الولوج إلى عالم الشغل، وهذا ما توضحه النسب أعلاه، حيث تنتمي أغلب أمهات الأطفال المبحوثين إلى فئة العاملات وقد بلغت نسبتهم 70%، بينما قدرت نسبة الأمهات الماكثات بـ 30%.

تبين من خلال الدراسة أن عمل الأم يؤثر على عادات المشاهدة، حيث أن أطفال الأمهات العاملات يقضون وقت أكثر في المشاهدة، لأن الأمهات العاملات منشغلات بالعمل داخل البيت وخارجه، وليس لديهم الوقت الكافي للاهتمام أكثر بالأولاد، بينما لم يؤثر عمل الأم على الفترة المخصصة للمشاهدة، وإنما على نوعية البرامج التي يشاهدها الأطفال، حيث أن أطفال

الأمهات العاملات يشاهدون البرامج التعليمية المفيدة لهم، وهذا راجع لأن الأمهات العاملات يهتمن أكثر بتثقيف وتعليم أولادهن، حتى وإن كن لا يملكن الوقت الكافي لأداء واجباتهم على أكمل وجه.

اتضح أن عمل الأم لم يؤثر على طريقة تفاعل الأطفال مع ما تعرضه البرامج، ونرجع هذا على أن التفاعل يرتبط أكثر بسكولوجية الطفل، وليس بالمحددات الاجتماعية، فالتقليد كما ذكرنا سابقا رد فعل طبيعي، بل أسلوبا معتمدا من قبل الأشخاص في التربية لتعليم الطفل واكسابه المهارات الاجتماعية.

يتضح أن الوضع المهني للأم يؤثر على اختيار البرامج التلفزيونية للأطفال، حيث بينت النتائج أن الأمهات العاملات يتدخلن في انتقاء وفرض برامج معينة على أطفالهن، رغم انشغالهن داخل وخارج البيت، إلا أنهن تخصصن من الوقت لتنظيم المشاهدة عن الأطفال، ونرجع هذا لارتفاع المستوى التعليمي عندهن، فسوق العمل تتطلب الحصول على شهادات جامعية وفي بعض الأحيان شهادات التعليم الثانوي، وبالتالي نجد الأمهات العاملات أكثر إدراكا لخطورة ما تعرضه بعض البرامج من أفكار غريبة، ومشاهد العنف والاباحية، والترويج لأساليب العيش الأمريكية.

بينما لا تختار الأمهات الماكثات البرامج التي يشاهدها أطفالهن، فالمشاهدة تتسم عموما بالعشوائية، وهذا مرتبط بتدني المستوى التعليمي أيضا.

تبين أن الأمهات العاملات تعاقبن أولادهن بسبب البرامج التلفزيونية التي يشاهدونها، ويتنوع العقاب بين المنع من المشاهدة والتوبيخ والحرمان من الخروج للتنزه واللعب، كما لاحظنا أن بعض الأمهات العاملات غير راضيات على علاقة أطفالهن بالتلفزيون، بينما نجد أغلبهن بدون موقف تجاه هذه العلاقة.

الاستنتاجات:

توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى أن أغلب الأطفال يشاهدون البرامج التلفزيونية في المساء، وأكثر الأجهزة استخداماً لهذا الغرض هو التلفزيون على الرغم من توفر وسائل أخرى، وهذا مرتبط بالمستوى الاقتصادي لأغلب الأطفال المبحوثين، كما تبين أن اللغة العربية هي لغة البرامج الأكثر مشاهدة بين الأطفال، ويرجع ذلك إلى نوعية البرامج المتوفرة على قنوات الأطفال المتاحة أمام الطفل الجزائري.

يقضي أغلب الأطفال المبحوثين أكثر من ساعتين في المشاهدة، حيث يتفاعلون مع المواد المعروضة في البرامج التلفزيونية، فيقلد الأطفال كل ما يرونه ويشاهدونه، وحتى وإن كان ذلك يشكل خطراً عليهم، وقد تبين أن أغلبية الأولياء لا يناقشون مع أطفالهم المواضيع التي تعالجها برامج الأطفال.

تبين أن معظم الأولياء لا يختارون البرامج التي يشاهدها أطفالهم، ونسبة قليلة منهم يهتمون بما يشاهده أطفالهم ويراقبونها باستمرار لأسباب متعددة، جاءت في مقدمتها مشاهد العنف المتكررة والابحاث الجنسية، إلى جانب أنها تروج لقيم تخالف المنظومة القيمية للمجتمع الجزائري.

أظهرت الدراسة أن المستوى التعليمي للأولياء يؤثر في عادات المشاهدة عند الأطفال، فيما يخص نوعية البرامج التي يشاهدونها، والوسائل المستخدمة لذلك، وكذلك الأوقات المخصصة لمشاهدة التلفزيون، كما اثبتت نتائج الدراسة أن الأولياء ذوي المستوى التعليمي المرتفع يهتمون بما يشاهده أطفالهم من برامج ويناقشونها معهم. بينما لم يؤثر المستوى التعليمي للأولياء على طرق تفاعل الأطفال مع البرامج التلفزيونية.

تبين أن هناك علاقة بين المستوى المعيشي وعادات المشاهدة عند الأطفال، حيث أثر المستوى المعيشي لأسرة الطفل على نوعية البرامج، الأجهزة المستعملة وأوقات المشاهدة وكذا الزمن المستغرق في عملية المشاهدة التلفزيونية، بينما لم يؤثر على كيفية تفاعل الطفل مع البرامج التلفزيونية.

اتضح من خلال الدراسة أن عمل الأم يؤثر على عادات المشاهدة فيما يخص نوعية البرامج، حيث تركز الأمهات العاملات على اختيار البرامج التي يشاهدها أطفالهن، وعلى مراقبتهم، بينما لم يؤثر على طرق تفاعل الأطفال مع البرامج التي يشاهدونها على التلفزيون.

خاتمة:

حاولنا في هذه الدراسة البحث في تأثير التغييرات الاجتماعية والثقافية التي حدثت في الجزائر على علاقة الطفل بالتلفزيون، بالاعتماد على المستوى التعليمي للأولياء، الوضع المهني للأم والمستوى المعيشي للأسرة، وقد تبين أنها تؤثر على أوقات المشاهدة، نوعية البرامج وعدادات المشاهدة بصفة عامة، وما كشفتها الدراسة أن كل الاجراءات التي يتخذها الأولياء من أجل الحد من التأثيرات السلبية للتلفزيون، والتعزيز من دوره التربوي، التثقيفي والتعليمي، ما هي إلا اجراءات شكلية لم تؤثر على علاقة المشاهد الصغير بهذا الجهاز وما تقدمه البرامج من مضامين متنوعة، وعلى الرغم من إدراك الأولياء لخطورة ما تروج له العديد من البرامج الموجهة للأطفال ومحاولتهم اختيار المواد التلفزيونية التي تناسب أطفالهم.

أمام هذه المعطيات صار واجبا على المؤسسات الاجتماعية والأسرة في أول مقام تنظيم عملية المشاهدة التلفزيونية عند الأطفال، واعطاء الأهمية لما تقدمه هذه البرامج من مضامين تعارض البيئة التي ينمو فيها الطفل، كما أن الألوان لأن تتحرك مؤسسات الانتاج الاعلامي والقنوات التلفزيونية الجزائرية لإنتاج برامج تلفزيونية تناسب قدرات المشاهد الصغير وتلبي حاجياته، وتتلاءم مع ما يتلقنه في بيئته الاجتماعية.

قائمة المراجع:

الكتب:

1. أحمد بن مرسل، منهجية البحوث في العلوم الإنسانية، دار القصبة، الجزائر، 2010.
2. أديب خضور، التلفزيون والأطفال، المكتبة الإعلامية، سوريا، 1992.
3. حميدة راضية، دور الأسرة والمدرسة في تربية الطفل على التعامل مع التلفزيون، المكتب العربي للمعارف، مصر، 2016.
4. عزت السيد أحمد، آفاق التغيير الاجتماعي والقيمي، دار الفكر الفلسفي، سوريا، 2005.
5. لوسي يعقوب، الطفل والحياة، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 1998.
6. محمد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
7. محمد فتحي، التلفزيون الجديد، دار الطائف للنشر والتوزيع، مصر، 2003.
8. محمود حسن إسماعيل، الإعلام وثقافة الطفل، دار الفكر العربي، مصر، 2011.

المقالات:

9. غفاف أم الرتم، إيناس رغيس، التربية الإعلامية في مواجهة القيم السلبية في برامج الأطفال بقناة MBC3، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، مجلد1، العدد 3، الجزائر، 2017.

الأطروحات:

10. حميدة راضية، دور الأسرة والمدرسة في تربية الطفل على التعامل مع التلفزيون دراسة مسحية تحليلية لعينة من أولياء التلاميذ والمعلمين بمنطقة البلدية، أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، الجزائر، 2015.
11. رشيدة بشبش، عادات مشاهدة البرامج التلفزيونية لدى الطفل الجزائري دراسة مسحية لعينة أطفال (من 5 إلى 14 سنة)، أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، الجزائر، 2015.
12. منال رداوي، أثر مشاهدة برامج الأطفال التلفزيونية الرسوم المتحركة على إدراك الواقع الاجتماعي عند الطفل الجزائري دراسة تحليلية وميدانية المحقق كونا، أطروحة دكتوراه في علوم الاعلام والاتصال، كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، الجزائر، 2019.

المراجع باللغة الأجنبية:

13. Baton-Hervé, E , télévision et fonction parentale, collectif interassociatif enfance et média, France. 2004.
14. Willemse, I, le rôle des médias dans la relation parent-enfants, département de psychologie appliquée, Allemagne , 2013.